محاضرات السداسي الثاني

المحاضرة الخامسة

الأستاذة: بركاني حياة

مقياس: أساطير أدبية

الموضوع: التفكير الأسطوري عند العرب قبل الإسلام

التفكير الأسطوري هو ظهور التفكير الفلسفي ، فالتفكير الأسطوري كان يدور حول الآلهة وصراعاتها و الحديث هنا سيقودنا إلى الحديث عن التفكير الأسطوري عند العرب قبل الإسلام ونحدد تلك الفترة الجاهلية وهي التي اختلف العلماء في تحديد مصطلح الجاهلية وذهب المفسرون إلى أن المراد من الجاهلية في قوله تعالى "وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى «وقيل كانت المرأة فيها تلبس الدّرع من اللؤلؤ غير مخيط الجانبين ، وتلبس الثياب الرقاق و لا تواري بدنها، واختلفت فترتها فمنهم من يقول أن الجاهلية كانت بين آدم و نوح ، وهي ثمانمائة سنة...أما عن ابن خالويه:"أنّ هذا اللفظ أطلق في الإسلام على الزمن الذي كان قبل البعثة «وكل الأقوال تُجمل على أنّها تطلق على زمن الكفر مطلقا كما قال أصحاب محمد صلعم :"كل من عمل السّوء فهو جاهل ويؤيده قول النبي صلعم لأبي ذر :"إنّك أمرؤ فيك جاهلية" .

قبل كل شيء لابد من التعرف على الأمة العربية في ضوء بيتها و عقائدها الوراثية حتى نفهم كيف كان التفكير الأسطوري عندهم ؟ و كل ما يحيط بها لنصل إلى معرفة نظم الأساطير عندها و أهم العوامل التي أدت إلى عزلة العرب الجاهليين .

فتواجد العرب في شبه الجزيرة العربية أدى إلى عزلة العرب فبقيت متأخرة عن التطور الاجتماعي ، ومن ثم ظلت بعيدة عن الاستفادة من الثقافة التي كانت سائدة في الشعوب المتحضرة في ذلك العصر، فأثرت فيها تلك العزلة و جعلت منها طائفة اجتماعية لا تقبل التعبير ولا تتأثر بعناصر أجنبية ، ولكن أحمد أمين "يؤكد عكس ذلك قائلا: الحق أنّ هذه الفكرة خاطئة، وأنّ العرب كانوا على اتصال بمن حولهم ماديا ومعنويا و إن كان هذا الاتصال أضعف مما كان بين الأمم المتحضرة لذلك العهد نظرا لموقعها الجغرافي و لحالتها الاجتماعية".

فالعرب اتفقت فكريا مع من يجاورها لكن اختلفت اجتماعيا واقتصاديا وسبب الاختلاف هوالبيئة في المدينة و البداوة مما جعل البدوي العربي ضيق التفكير يعتمد على ما رأه بصره فقط .

وحتى يصل الإنسان للتفكير العميق لابد من تجاوز تلك النظرة البسيطة للأشياء بكثير من العمق و التبصر و الشيء الذي يميز العربي هو ميله للمادة أكثر من ميله إلى المعاني والروح.

وبالتالي فالأمة العربية في الجاهلية تمتاز بخيال تصوري، فهي تتصور الأشياء و تسترجع التجارب و بعبارة أخرى إنّ العربي يأخذ شيئا من المرئيات و شيئا من المحسوسات ثم يركب منهما صورة ليست بجديدة، بل كان شاهدها كل ذي عينين و ذلك لأن عقليته محدودة ، وليس لديه تجارب التمدن و الحضارة حتى يخلق منها شيئا جديدا .

و مصفى القول: أن العربي قليل الابتكار ، وان عقليته خالية من الخيال الاختراعي لكن ذلك لم يمنعه من أن يكون له مثُل أعلى في تصور المحسوسات ، فكان العربي غايته من الحياة يسعى وراءها ، وإذ لم يضع الكلمة التي تعبر عن المثل الأعلى ، فذلك لأنه لم يحتج إلى ذلك، لأن غاية الحياة كانت واحدة مشتركة و سائدة في جميع أفراد الأمة بدون أن يشعر إلى أين يسعى، فالعربي محدود الخيال من ناحية التخييل وواسع الخيال من ناحية التخييل التصوري مجيد له ، والأسطورة

تتولد من الخيال التصوري كما تتولد من التخيل الاختراعي، وهو يتصور الأشياء و لا يخترع القصص حولها، و يقيم الأوثان في هيئة يرسمها و يلونها بألوان التصوير لا بألوان الخيال ، فاذا أردنا أن نبحث عن أسطورة عربية فعلينا أن نراها في خيال تصوري أكثر مما نراها في خيال اختراعي .

واذا أردنا أن نبحث عن العربي الذي ينسج الأسطورة فيجب أن نرى ذلك العربي حيث يلعب بالألفاظ ، وهذا و قد مرّ تفكير الأمة العربية بأطوار يسميها علماء الميثولوجيا بطور ما قبل المذهب الحيوي ثم طور المذهب الحيوي ثم طور المذهب الطوتمي ، ثم تعدد الإلهة ، ونتيجة فكرة وجود الاله.